مريم المجدلية

لقد كانت دعوة نبى الله عيسى عليه السلام.. هى دعوة للحب.. دعوة أن يعود الناس إلى الشريعة السمحة التى نادى بها موسى عليه السلام.. وأن يعيد للناس يقينهم.. وأن يبعدهم عن الزيف والضلالة التى أغرقت المجتمع بسمومها.. وكانت صيحته:

* «طوبى للحزانى والمساكين والجياع».

هذه الصيحة نفذت إلى العقول والقلوب.. ووجد الحزانى والمساكين والجياع أن الله لا ينسى أحداً.. وأنهم ليسوا هباءة هائمة على أمواج الحياة.. إن عليهم أن يؤمنوا بدعوة التوحيد الخالص.. بعيداً عما دس فى شريعة موسى من افتراءات أحبار اليهود.. وحتى يستطيع عيسى عليه السلام أن ينشر دعوته.. أيده سبحانه وتعالى بالمعجزات.. حتى تؤمن القلوب المتحجرة التى أعمتها المصالح والأهواء عن رؤية أنوار اليقين:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ

فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة: ١١٠].

وانتشرت دعوة المسيح.. تبشر بالحب والسلام وسط المساكين والحيارى والتائهين.

* «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

* «طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعون».

* «طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات».

وما أكثر ما نصح المسيح وأتباعه يتزايدون يوماً بعد يوم.. رغم حقد أحبار اليهود.

إن كلماته تنفذ إلى أعماق النفس فتضيئها.. وتزيدها خشية ورهبة من عذاب الله، وتزيدهم أملاً فى ملكوت السماوات..

استمعوا إلى كلماته:

* «سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماوات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين!».

دعوة للتسامح والمحبة بلا حدود.. ما كان يضيق بها إلا أصحاب النزوات والطغيان والأهواء.. فانتشرت بين الناس.. وفى هذا الجو.. كانت هناك قصة تروى.. تروى لما فيها من عظة وعبرة!

كانت هناك امرأة اسمها مريم المجدلية ذات جمال رائع.. وكانت ثرية.. وكان مبعث ثرائها احترافها البغاء.. يتكالب على بيتها الأثرياء وذو الجاه.. من الأمراء.. ولكن قلبها كان يهوى شابًا على جانب كبير من الوسامة والجاه والثراء اسمه «توما».. كانت تحبه من أعماق نفسها.. وأسعد لحظات حياتها هى تلك اللحظات التى تسعد بلقائه.. وكان هو الآخر يحبها من أعماق نفسه.. و..فجأة اختفى توما.. لم يعد يتردد عليها.. وأخذت تسأل عنه.. أين ذهب؟.. أين اختفى؟

وعلمت أنه اعتنق المسيحية.. وأنه آمن بما جاء به السيد المسيح من مبادىء وقيم ومثل عليا.. فهجر دنيا الدعارة والضياع وشعر بأن الإيمان يرفعه عن الدنس الذى كان يعيش فيه، ويشعر بجمال روحى ليس له نظير.

هنا قررت مريم المجدلية أن تذهب وتبحث عن الأمير توما فى أى مكان.. وعلمت أنه يعيش لله وبالله.. فلم يعتن بما يملك من أموال ومتاع الحياة.. بل يسير حيث يسير المسيح.. يشاهده ويشاهد معجزاته.. ولم تكن مريم المجدلية تعنيها دعوة السيد المسيح.. كل الذى يهمها أن يعود إليها توما.. وعلمت أنه فى حلقة من حلقات السيد المسيح حيث يلقى بمواعظه..

فاتجهت إليه.. فإذا بها ترى السيد المسيح.. وحوله الحواريون وهناك أيضاً توما.. ولكن الذى هزها السيد المسيح نفسه.. بجلاله

ووقاره.. وكلماته التى تصل إلى أعمق أعماق النفس.. فشعرت بالرهبة والخشوع.

وعندما التقت بتوما.. وجدته إنسانًا آخر.. إنسان عزف عن حياة اللهو.. وودع الحياة الماجنة التى كان يحياها إلى الأبد.. وعرفت من كلمات السيد المسيح أن الله يعفو عن المسىء.. ويحب التوبة ويقبلها.. فرجعت قافلة إلى قصرها الضخم.. وعلامات استفهام كثيرة تدور فى ذهنها.. وتتذكر قصتها مع الأيام.. لقد أصبحت من أغنى الأغنياء.. وهى تتمتع بجمال فائق أخاذ.. ولكن هل يمكن أن يدوم المال..؟

وهل يمكن أن يدوم الجمال؟

وماذا كسبت من هذه الحياة التى تعيشها وسوف ترحل عنها.. ولن ينفعها المال، ولن يبقيها الجمال خالدة على وجه الحياة؟

لقد عادت إلى نفسها أخيراً.. وشعرت بالندم على حياتها تلك اللاهية.. وقررت أن تذهب إلى السيد المسيح.. تعلن توبتها ورجوعها إلى الحق.. لقد أضاء الإيمان قلبها.. وعرفت أن السيد المسيح فى بيت أحد الحواريين، فذهبت إليه وارتمت تحت أقدامه تقبلها.. والدموع تملأ عينيها.. وعدت المسيح أن توبتها توبة صادقة.. فبشرها بقبول الله هذه التوبة.. ومن يومها حرصت كل الحرص أن تلازم السيد المسيح.. وأن تدعو النساء إلى الإيمان بدعوته.

وعاشت مثلاً صالحاً للمرأة التى تعرف طريقها إلى الله بإخلاص بعد التوبة النصوح.

ومرت الأيام.. وتعرض السيد المسيح للمؤامرة الدنيئة التى دبرها له أحبار اليهود.. وارتفع إلى السماء.. وبكته مريم المجدلية أحر البكاء وواست والدته السيدة مريم العذراء ولازمتها فى المحنة النفسية التى عاشتها.. ثم أخذت تعيش بقية حياتها زاهدة عابدة متقشفة.. يملأ الإيمان كيانها.. ويرسم لها خطاها فى الحياة.. إلى أن انتقلت إلى رحاب الله مرضياً عنها.

* * *